ان التعبيرات الحقيقية لتميّز اليهود عن أقرانهم من المواطنين السوفيات تتمثّل في احتلال الكثيرين منهم مناصب رفيعة في الحزب، والدولة، وكذلك في توزّعهم، بنسبة هامّة وبارزة، في سلّم المهن الرفيعة في الاتحاد السوفياتي. وهناك ٣٦ بالمئة من اليهود، من اجمالي العاملين، يتوزّعون على حقول العلم، والفن، والثقافة، والأدب، والتأليف. وخلال السنوات العشر الاخيرة، كان اليهود العاملون يشكّلون ما نسبته ١٤ بالمئة من اجمالي كتّاب الاتحاد السوفياتي، و٢٣ بالمئة من الموسيقيين، و١٤ بالمئة من الاطباء[٩].

ان وجهاً آخر من وجوه تميّز اليهود يتبدّى في الاعتراف بانتمائهم الى «قومية» هي «القومية اليهودية»، وهي الوحيدة في الاتحاد السوفياتي التي تقوم على أساس الانتماء الديني في بلد تتعدّد فيه الاديان، وتتنوّع، الى درجة كبيرة، وأكثرها انتشاراً الديانتان المسيحية والاسلام، عدا عن ان المجتمع، بصفته العامة، هو مجتمع علماني لا ديني.

ويستتبع الاعتراف بـ «القومية اليهودية» اعتراف لليهود الموزّعين، عملياً، بين كثير من القوميات التي يتحدثون لغاتها، ويتمثّلون ثقافاتها، بـ «لغة قومية» هي اليديش، وهي لغة اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا منذ وقت طويل، وقد تمّ احياؤها، لا سيما في منطقة الحكم الذاتي لليهود في خاباروفيسك، ومركزها بيروبيدجان في شرق الاتحاد السوفياتي، حيث تستخدم اليديش الى جانب اللغة الروسية، وعلى قدم المساواة، وهما لغتا الأدب والثقافة هناك[١٠]. وباليديش تصدر مطبوعات ومؤلفات لكتّاب يهود، أو تترجم اليها أعمال كتّاب سوفيات من مختلف القوميات، كما تصدر بها مجلات وصحف، من أهمها مجلة *Sovetish Heimland* [١١].

واضافة الى ما سبق في تميّز اليهود كـ «مجموعة قومية»، فانه، وخلافاً لعموم الوضع في الاتحاد السوفياتي، الذي يعطي الحق في توجيه النقد الى القوميات ومناقشتها، فان «القومية اليهودية» هي الوحيدة من بين «القوميات» في الاتحاد السوفياتي التي لا تتعرّض للنقد والانتقاد، ذلك ان عملاً كهذا غالباً ما يشار اليه باعتباره «تعصباً شوفينياً» و«معاداة للسامية»، ويوصف بأنه سلوك «رجعي شوفيني» يتناقض مع «الروح الاممية»، ويسيء الى «السياسة القومية» في البلاد؛ وتشنّ حملات واسعة وظالمة على كل من يقوم به، وهو أمر لم يسلم منه نفر غير قليل من كبار الباحثين والمفكّرين السوفيات، مثل فلاديمير بيعون، ويفغيني يفسييف، والكسندر رومانينكو، الذين نقدوا «اليهودية» بشكل علمي، وقد شُنّت عليهم حملات تشهير واسعة[١٢].

ان السياسة السوفياتية حيال الهجرة، وفي سبيل «حل المسألة اليهودية»، قامت، أساساً، على مبدأ «دمج» اليهود في بوتقة المجتمع السوفياتي في تعدديته الاثنية ـ الدينية والثقافية ـ اللغوية. وقد حققت «نجاحات» بذات قدر «الفشل» الذي أثبتته؛ وهذا ما أكدته الوقائع القائمة في أوساط اليهود في الاتحاد السوفياتي، والتي يلخّصها وجود اتجاهين: اتجاه الاندماج، واتجاه الهجرة.

وبشكل عام، فان هذين الاتجاهين يجدان تعبيراتهما البارزة في الموقف من النشاطات التي تقوم بها العناصر الصهيونية في أوساط يهود الاتحاد السوفياتي، وسط حملة تأييد وتعبئة تأتي من الخارج، وبخاصة من جانب الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، وفي النشاطات المضادة للصهيونية في الاتحاد السوفياتي، والتي يشارك فيها يهود سوفيات، من الذين يعون حقيقة الصهيونية وأهدافها.

الصهيونية ونشاطاتها

شكّل التجمّع اليهودي في روسيا القيصرية ـ وبولونيا ـ وبسبب عوامل عدة معقّدة، الوعاء